

## نظرية المعرفة في القرآن

### أ. بسام أبو عليان\*

تعد (المعرفة) هي القضية المحورية التي تدور حولها نصوص القرآن الكريم. المعرفة بكافة أشكالها وصورها ومستوياتها. سواء معرفة الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته، أو معرفة العالم الآخر (الموت، والبعث، والجنة، والنار، والقيامة، والصراط، والحساب... إلخ)، أو معرفة أخبار عن الأمم السابقة، أو معرفة ما سيكون عليه المستقبل.

وقد أولى الله تعالى أهمية كبيرة لقضية المعرفة، فقد كان أول ما نزل من آي القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرأ)، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ١. وفي عدة مواضع من القرآن حثنا الله تعالى على القراءة فقال: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} ٢، وقوله: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} ٣، وقوله: {فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ٤. فضلا عن الآيات الأخرى التي تحت على العلم والتعلم وبيان فضل المتعلمين، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ٥، وقوله: {وَكَذَلِكَ نُنزِّلُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيَقُولُوا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ٦. وتعد القراءة رافدا من روافد المعرفة. ولم تعتمد المعرفة القرآنية على الأباطيل، والسحر، والشعوذة، والخرافات، والأساطير التي كانت متبعة في المجتمعات البدائية القديمة كوسيلة للمعرفة، إنما اعتمدت على المعرفة في أرقى صورها، وبتأمل النصوص القرآنية نجدها تحتوي على صور المعرفة بتقسيماتها المعروفة (الحسية، والغيبية، والعلمية). وفيما يلي البيان:

### المعرفة الحسية:

❖ {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ٧.

\* محاضر بجامعة الأقصى، قسم علم الاجتماع.

١ العلق، ١.

٢ يونس، ٩٤.

٣ الإسراء، ١٤.

٤ الإسراء، ١٧.

٥ فاطر، ٢٨.

٦ الأنعام، ١٠٥.

٧ النحل، ٧٨.

- ❖ {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ}٨.
- ❖ {لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا}٩.
- ❖ {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}١٠.
- ❖ {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}١١.
- ❖ {فَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ}١٢.
- ❖ {وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}١٣.
- ❖ {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}١٤.
- ❖ {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}١٥.

### المعرفة الغيبية:

معرفة الغيب من اختصاص الله تعالى، ولم يدرك كنهها أي من الكائنات الأخرى، ومن

بين النصوص القرآنية المدللة على ذلك:

- ❖ {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ}١٦.
- ❖ {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}١٧.
- ❖ {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}١٨.
- ❖ {وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ}١٩.
- ❖ {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ}٢٠.
- ❖ {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ}٢١.

٨ الأنعام، ٣٦.

٩ الأعراف، ١٩٥.

١٠ يونس، ٦٧.

١١ البقرة، ١٧.

١٢ يونس، ٤٣.

١٣ الصافات، ١٧٩.

١٤ البقرة، ٩.

١٥ القصص، ١١.

١٦ آل عمران، ٤٤.

١٧ الأنعام، ٥٩.

١٨ الأنعام، ٧٣.

١٩ الأعراف، ١٨٨.

٢٠ هود، ٤٩.

٢١ الطور، ٤١.

## المعرفة العلمية:

{سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} ٢٢. تلك الآية تعكس حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن، فمهما بلغ العلم الحديث من الاختراعات والاكتشافات سيبقى عاجزاً أمام قدرة الله تعالى، والمواضع المعجزة في القرآن. وكلما تقدم العلم أكثر ومرت العصور ستبقى الأمم تكتشف الجديد في الكون وتجد لها سندا قرانياً. وفي هذا المقام سأسترشد ببعض صور الإعجاز العلمي في القرآن على سبيل المثال – لا الحصر –:

❖ { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } ٢٣

تؤكد الآية استحالة وجود قلبين في صدر أي رجل ولم يقصرها على مؤمن أو كافر.. كبير أو صغير. مما يعني أن الآية استثنت المرأة؛ لإمكانية وجود قلبين لديها. ويحدث هذا عندما تحمل، فيكون الأول قلبها الذي في صدرها، والقلب الثاني هو قلب الجنين الذي في أحشائها.

❖ { نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ } ٢٤

الناصية هي مقدمة الرأس. وقد أثبت العلم الحديث أنه يوجد في مقدمة الرأس جزء من المخ وظيفته التحكم في سلوك الإنسان.

❖ { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ } ٢٥

اكتشف علماء البحار أن مياه البحار لا تمتزج ببعضها البعض، فمياه البحر الأبيض المتوسط لا تمتزج بمياه المحيط الأطلنطي عند جبل طارق.

❖ { أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } ٢٦

أثبت علماء الفلك أن السماء والأرض كانتا متصلتين، فانفصلت الأرض عن السماء.

❖ { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } ٢٧

٢٢ فصلت، ٥٣.

٢٣ الأحزاب، ٤.

٢٤ العلق، ١٦.

٢٥ الرحمن، ١٩.

٢٦ الأنبياء، ٣٠.

بين العلم الحديث كيفية تكوين اللبن في ضروع الحيوانات. بأنه توجد أنزيمات هاضمة تحول الطعام إلى فرث يسير في الأمعاء الدقيقة حيث تمتص العروق الدموية المواد الغذائية المذابة من بين فرث فيسري الغذاء في الدم حتى يصل للغدد اللبنية، ومنها يكون اللبن من بين الدم فيخرج اللبن من بين فرث أولاً، ومن بين الدم ثانياً.

وفي دراسة إحصائية – دلالية لنصوص القرآن الكريم قام بها "عبد العلي المحمداوي"<sup>٢٨</sup> بين بلغة الأرقام المواضيع تعكس الجانب المعرفي في القرآن، وأسسترشد ببعضها.

الموضوع	تكراره في القرآن
البدو	١٩
البلاغ	٢٩
البيان	٦
الخبر	٩
التدبير	٦
الدراسة	٨
الدراية	٤
السؤال	٧
الإطلاع	٤
المعرفة	١٨
العقل	٥
العلم	١٦
الفهم	١
الفكر	٤
القراءة	٤
الكتاب	٣

بناء على ما سبق، نستخلص أن المعرفة القرآنية ليست مجرد إشارة وسرد للأحداث، ويكون دور الإنسان فيها سلبياً (مكتفياً فقط)، بل هناك دعوات إلهية للإنسان للتفكير والتأمل

<sup>٢٧</sup> النحل، ٦٦.

<sup>٢٨</sup> للإطلاع على الدراسة كاملة انظر: عبد العلي المحمداوي، نظرية العلم والمعرفة في القرآن الكريم، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد ٢، السنة ١٣، تصدر عن: أكاديمية العلوم الإنسانية والثقافية، دب، خريف – شتاء ١٤٣١هـ، ص ١١٥-١٤٤.

والتدبر في آيات الكون، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى} ٢٩، وقوله: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} ٣٠، وقوله: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} ٣١. بمعنى آخر: إن الإنسان في (الوصف القرآني) يختلف عن الإنسان في (الوصف المادي) الذي يقيس حياته — الممتدة من الميلاد حتى الممات — بمقاييس مادية بحتة. بل يحمل الإنسان في ذهنه تساؤلات عن الكون تتجاوز المعرفة المادية، والحسية، والتجربة بهدف التوصل إلى إجابات شافية فيها قدر من الشمولية والصدق والدقة، وربطها مع هدفه من خلقه. فالأفكار التي تدور في خلد الإنسان تدور حول الأسئلة الآتية ٣٢:

- ❖ من أين أتيت؟
- ❖ إلى أين أذهب؟
- ❖ أين أنا الآن؟
- ❖ كيف يجب أن أكون؟
- ❖ ماذا يجب أن أعمل؟

وللإجابة على السؤال الأول: يجب أن يعرف الإنسان الله تعالى حق المعرفة، من خلال التدبر والتأمل في آيات الله الكونية، وما تنطوي عليه من أدلة عقلية وفطرية تؤكد على ربانية هذا الكون.

وللإجابة على السؤال الثاني: يجب أن يتعقب الإنسان مراحل نموه، مذ كان نطفة حتى وصل لمرحلة الممات، وربط كل مرحلة بالحكمة الإلهية، وكذلك تدبر الآيات بالمتعلقة بالموت، والبعث، والجنة، والنار، والحشر، والحساب... إلخ.

وللإجابة على السؤال الثالث: يجب على الإنسان أن يبحث عن مذهب عقائدي، واجتماعي، وسياسي، واقتصادي، وتاريخي، وتربوي... إلخ متناغم مع بعضه البعض، وينطوي على مفاهيم روحية وقيم أخلاقية تتسجم مع فطرته. وهذا لا يكون إلا في العقيدة الإسلامية.

<sup>٢٩</sup> الروم، ٨.

<sup>٣٠</sup> الأعراف، ١٨٤.

<sup>٣١</sup> المؤمنون، ٦٨.

<sup>٣٢</sup> بتصرف عن: جعفر عباس حاجي، نظرية المعرفة الإسلامية، ط ١، الكويت، مكتبة الألفين، ١٩٨٦م، ص ٣٩-٤٧.

وللإجابة على السؤال الرابع: يجب أن يعرف الإنسان سنن الكون والحقائق التي تبين تميزه عن سائر المخلوقات، وأن تكون سلوكياته مرتكزة على قاعدة أخلاقية تسهل رقي الإنسان نحو التكامل الروحي والتقرب إلى الله.

وللإجابة على السؤال الخامس: يجب أن يخضع الإنسان لسلطة الأوامر والنواهي، والإيمان بالغيب. فالفرد المؤمن ينظر إلى التاريخ باعتباره مختبر يؤكد صحة التعاليم والأوامر والنواهي الإلهية.

خلاصة القول: إن المعرفة الإنسانية تبدأ من تدبر قوانين الكون التي ترتقي به حتى الوصول إلى اليقين الإلهي، بأن هناك إله خالق ومدبر لهذا الكون.

### أصناف المعرفة الإسلامية<sup>٣٣</sup>:

١. معرفة الله تعالى.
٢. معرفة العقائد الدينية.
٣. معرفة الأمور الغيبية.
٤. معرفة الأحكام والتشريعات الإسلامية.
٥. معرفة ذات الإنسان وصفاته.
٦. معرفة قوانين الطبيعة وسننها.
٧. معرفة قوانين التاريخ والاجتماعية والاقتصادية والتربوية... إلخ.

### مميزات نظرية المعرفة القرآنية<sup>٣٤</sup>

١. إن الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته هو مبدأ الإسلام الأول.
٢. يؤكد الخالق على دور الحواس في اكتشاف المعرفة المحيطة بالإنسان، كذلك النظر العقلي والتأمل والتفكير في الكون ومكوناته، كما دعا الخالق إلى عدم تقليد السابقين، لأن التقليد يُعطل العقل عن البحث وإدراك الحقيقة.

<sup>٣٣</sup> المرجع نفسه، ص ٨٧-٨٨.

<sup>٣٤</sup> فهد بن عبد الله الضويحي، نظريات المعرفة،

٣. التصور الإسلامي للمعرفة متكامل لا يعرف التنافر، فهناك تكامل بين المعرفة العلمية والمعرفة الغيبية.

٤. المعرفة منها ما هو فطري ومكتسب، وهي تشمل كل ما يعرفه الإنسان عن الماضي والحاضر والمستقبل.

٥. المعرفة يجب أن تكون قطعية، أما المعارف الظنية فلا اعتبار لها.

٦. المعرفة الإسلامية تؤكد أهمية المعرفة عن طريق الوحي وتعتبرها أهم أنواع المعرفة إذ تكشف عن أمور لا يمكن للإنسان أن يدركها بوسائله الحسية والعقلية المحدودة.

### موضوعات المعرفة الإسلامية<sup>٣٥</sup>:

#### ١. معرفة الله تعالى:

❖ {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} \* أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} \* أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} \* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} \* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} <sup>٣٦</sup>.

❖ وقوله: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} \* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} \* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} <sup>٣٧</sup>.

❖ وقوله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} <sup>٣٨</sup>.

<sup>٣٥</sup> بتصرف عن: المرجع نفسه، ص ٩٥-١١٧.

<sup>٣٦</sup> النمل، ٦٠-٦٤.

<sup>٣٧</sup> الحشر، ٢٢-٢٤.

<sup>٣٨</sup> الإخلاص، ١-٤.

## ٢. معرفة النفس:

أي التعرف على عيوب النفس، وقدراتها، وفضائلها.

- ❖ قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ٣٩.
- ❖ قوله: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} ٤٠.

## ٣. معرفة الأنبياء والرسول:

- ❖ قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} ٤١.
- ❖ قوله: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} ٤٢.
- ❖ قوله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} ٤٣.

## ٤. معرفة القيامة (المآل):

- ❖ قال تعالى: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} ٤٤.
- ❖ قوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} ٤٥.
- ❖ قوله: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} ٤٦.
- ❖ قوله: {لَا أُقْسِمُ بِبِوَمِ الْقِيَامَةِ} ٤٧.

## ٥. معرفة التاريخ:

- ❖ قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ٤٨.
- ❖ قوله: {تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا} ٤٩.

٣٩ فصلت، ٥٣.

٤٠ الذاريات، ٢١.

٤١ الإسراء، ١٥.

٤٢ الحديد، ٢٥.

٤٣ التوبة، ٣٣.

٤٤ آل عمران، ١٩٤.

٤٥ النساء، ٨٧.

٤٦ مريم، ٩٥.

٤٧ القيامة، ١.

٤٨ يوسف، ١٠٩.

٤٩ الأعراف، ١٠١.



❖ قوله: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} ٥٠.

## ٦. المعرفة المادية والكونية:

❖ قال تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} ٥١.

❖ قوله: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ\*} وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ٥٢.

❖ قوله: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ٥٣.

## مصادر المعرفة في القرآن:

### ١. العقل:

يعد العقل من المصادر الهامة التي تزودنا بالمعرفة عن الأشياء الكونية المحيطة بنا، والتي توصلنا لمعرفة الله تعالى. ويوجد في القرآن العديد من الآيات التي تتحدث عند ور العقل في المعرفة، منها:

❖ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} ٥٤.

❖ {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} ٥٥.

❖ {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} ٥٦.

٥٠ الأنعام، ١١.

٥١ لقمان، ١٠.

٥٢ الرعد، ٣-٤.

٥٣ البقرة، ١٦٤.

٥٤ البقرة، ١٧٠-١٧١.

٥٥ المائدة، ٥٨.

٥٦ الفرقان، ٤٤.

## 2. القلب:

يعد القلب هو المصدر الثاني من مصادر المعرفة القرآنية، وتدلل الشواهد القرآنية على أن المراد بالقلب في المصطلح القرآني "الإنسان بمعنى الروح والجسد". وأن التفكير والتعقل، والحب والبغض، والخوف والشجاعة من الصفات النفسية الروحية<sup>٥٧</sup>.

وقد تحدث القرآن عن العديد من الأعمال غير المرغوب التي يقوم بها الإنسان وتترك أثرا سلبيا على القلب والنفوس، منها::

- ❖ {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}<sup>٥٨</sup>.
- ❖ {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}<sup>٥٩</sup>.
- ❖ {رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}<sup>٦٠</sup>.
- ❖ {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}<sup>٦١</sup>.
- ❖ {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُودُنُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}<sup>٦٢</sup>.
- ❖ {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ}<sup>٦٣</sup>.
- ❖ {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}<sup>٦٤</sup>.

## 3. الوحي:

يعد الوحي المصدر الثالث من مصادر المعرفة القرآنية. وهناك العديد من الأدلة القرآنية على ذلك، منها على سبيل المثال – لا الحصر –:

- ❖ {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}<sup>٦٥</sup>.
- ❖ {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}<sup>٦٦</sup>.

<sup>٥٧</sup> بتصرف عن: جعفر عباس حاجي، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

<sup>٥٨</sup> البقرة، ٧.

<sup>٥٩</sup> البقرة، ١٠.

<sup>٦٠</sup> آل عمران، ٨.

<sup>٦١</sup> المطففين، ١٤.

<sup>٦٢</sup> الصف، ٥.

<sup>٦٣</sup> الإسراء، ٤٦.

<sup>٦٤</sup> الروم، ٥٩.

<sup>٦٥</sup> الشورى، ٥٢.

<sup>٦٦</sup> الأنعام، ٥٠.

❖ {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي} ٦٧.

❖ {وَأَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ} ٦٨.

#### 4. التاريخ

يعد التاريخ من المصدر الرابع من مصادر المعرفة القرآنية المهمة، فهو يخبرنا عن أحوال الأمم السابقة، وقد احتل التاريخ حيزا كبيرا من الاهتمام القرآني، فهناك العديد من القصص القرآنية التي تعكس ذلك. ولم يكن القصص القرآني لمجرد السرد والتسلية والإخبار فقط، بل لأخذ العبر، والعلم والمعرفة، والاستفادة منها في مسيرة الحياة المعاصرة. فقد تحدث القرآن عن فرعون مصر، وعاد، وثمود، ومدين وسبأ... إلخ. وسنسترشد ببعض الآيات عن تلك الأقوام الغابرة:

#### فرعون:

❖ يعرض الله صورا من صور تعذيب وتكليف فرعون لقومه منها ذبح الأبناء، وسبي النساء، فقال: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} ٦٩.

❖ يبين الله بأنه أعطى موسى العديد من المعجزات التي كانت سائدة في قومه، ورغم قوة حجة موسى إلى أن قوم فرعون أنكروا وجحدوا، فقال تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} ٧٠.

❖ يبين الله نماذج من العقاب الإلهي الذي حل بفرعون وقومه نتيجة الكفر، منها: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} ٧١.

❖ بين الله نتائج الجهود المعرفية التي قام بها موسى مع قوم فرعون بأن المؤمنين به كانوا عددا قليلا، فقال: {فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} ٧٢.

٦٧ الأعراف، ٢٠٣.

٦٨ يونس، ١٠٩.

٦٩ البقرة، ٤٩.

٧٠ الأعراف، ١٠٩.

٧١ الأعراف، ١٣٠.

٧٢ يونس، ٨٣.

❖ بين الله صور ونماذج من المعرفة الموسوية لإرشاد فرعون إلى الطريق الصواب، منها معجزة اليد {وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} ٧٣.

❖ بين الله بأن معرفة الإنسان محدودة مهما بلغ من الكبر، كما نفهم من الآية كيفية تحريف المعرفة بما يتماشى مع الأهواء والمصالح، فقال: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} ٧٤.

### ثمود:

❖ يبين الله أنه أرسل صالحا عليه السلام لقوم ثمود وبين لهم أسس الدين السليم (عبادة الله)، وبين لهم معجزته الخارقة في الناقة، وكيفية تقسيم الشراب بينهم وبين الناقة، فقال: {وَأَلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ} ٧٥.

❖ تبين الآية ثمرات الجهود التي بذلها صالح مع قومه، فهم آثروا الجهالة على الطريق القويم، فكانت النتيجة أن حل عليهم الغضب والسخط الإلهي، فقال: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ٧٦، وفي موضع آخر بين صورة العذاب التي حلت بهم فقال: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} ٧٧.

### عاد:

❖ يبين الله إصرار عاد قوم هود عليه السلام على الكفر، وعدم رغبتهم باعتراف دعوة نبيهم وهي الدخول في الدين الصحيح، فقال: {قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِنَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} ٧٨.

٧٣ النمل، ١٢.

٧٤ القصص، ٣٨.

٧٥ الأعراف، ٧٣.

٧٦ فصلت، ١٧.

٧٧ الحاقة، ٥.

٧٨ هود، ٥٣.

## 5. الطبيعة

الطبيعة تشمل عوالم (الزمان، والمكان، والحركة). يُعرّف بها الله تعالى. فقال تعالى — على سبيل المثال لا الحصر —:

❖ تبين الآية ظاهرة كونية وهي تعاقب الليل والنهار: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} ٧٩.

❖ تبين الآية الحكمة الإلهية من خلق السماء والأرض. فقال: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ٨٠.

❖ تبين الآية بأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، فقال: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} ٨١.

❖ تتحدث الآية عن ظواهر كونية طبيعية كالبرق والرعد والصواعق، فقال: {أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} ٨٢.

❖ تتحدث الآية عن الحكمة من وجود النجوم في السماء، فقال: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ٨٣.

❖ تبين الآية بأن لكل نجم في السماء فلك يسبح فيه ولا يخرج عنه، فقال: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} ٨٤.

٧٩ آل عمران، ١٩٠.

٨٠ البقرة، ٢٢.

٨١ البقرة، ٣٠.

٨٢ البقرة، ١٩.

٨٣ الأنعام، ٩٧.

٨٤ الواقعة، ٧٥.